الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة 08 ماي 1945 قالمة

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب عربي

الأستاذة: إيمان حراث

المستوى: سنة ثالثة ليسانس

تخصص: دراسات أدبية

الأفواج: (1+2+3)

المحاضرة السادسة:

قضايا الرواية المغاربية

تمهيد:

يعكس النص السردي المغاربي واقع بلدان المغرب العربي في ظل التحولات والمراحل التي مرت بها تلك البلدان على مدى النصف الثاني من القرن العشرين، حيث تحولت اسئلة المتن الحكائي للتعبير عن تلك المرحلة فكانت الإشكالات التي تطرحها نصوص هذه الرواية للمعالجة والتعبير عن المواقف تتعدد وتتنوع في شكل من التوالد الذي يعكس مدى التطور التاريخي والفكري الحاصل في البلدان المغاربية مع مراعاة نوع من التفوات بينهما ينعكس في وعي كتاب الرواية، لأن الممارسة الروائية تقوم على تاريخ الذات الكاتبة وتعبر عن قضايا المجتمع وملابسات المرحلة التاريخية

أولا: الهوية والتحرر

تشكل علاقة المغرب العربي بالمغرب أهم قضاي السرد الروائي، فهي أهم شواغل الكتاب في مختلف المراحل التي مرت بها الرواية المغاربية منذ التأسيس ثم التحول فالتجريب، ففي روايات المرحلة التأسيسية ركز الكاتب على صورة المستعمر وممارساته لكل أشكال القهر والتعذيب والاستلاب، وكانت هذه هي البصمة الغالبة في الرواية خلال مرحلة الخمسينيات والستينيات بالأساس في كل من تونس والمغرب الأقصى والسبعينيات والثمانينات في الجزائر.

كما اهتم الروائيون بموضوع النصر الذي حققته شعوبهم بحصولها على الاستقلال وتمجيد البطولات الشعبية التحريرية لبلدان الغرب العربي، وهذا ما جعل التاريخ مهيمنا على الرواية من حيث المضامين، وقد اكتسبت العلاقة بالاستعمار أبعاد جديدة في روايات السبعينيات والثمانينات من خلال التركيز على فكرة الهوية، وطرق اثباتها، والتعبير على مظاهر انكسار الذات وخيبة الآمال لما كانت تتطلع إليه.

ثانيا: السياسة

تركز الرواية المغاربية على السياسة تركيزا كبيرا، فهي أهم الأسئلة التي انبنى عليها المتن الحكائي المغاربي باعتبارهما هَمًا يؤرق شواغل كتاب الرواية، وقد عبَرَ الطاهر وطار عن ذلك بقوله السياسة هي الصدى الوحيد لهمومنا الباطنية والعلنية، هم كبير مثل الحب والموت الخبز والعلاج ...، وهذا ما يميز عدد كبير من الروايات الواقعية النقدية والاشتراكية وطرحها للقضايا السياسية في البلدان المغاربية

كما عبر الروائيون عن خيبة أمل النخبة المثقفة التي هُمشت قصدا بعد الاستقلال، مما جعل الكثير منهم يرى أن السلطة ماهي إلا امتدادا لاستعمار جديد بسبب اخلاف كل الوعود التي قطعها المسؤولون للشعوب. وهذا ما جعل الخطاب السردي على مدى العقود الثلاثة الأخيرة، لا يتجاوز فكرة الاحتجاج على السلطة التي تطبعها الذاتية والانفعال وتفتقد إلى تصور البدائل المناسبة التي يمكنها أن تغير أوضاع الشعوب المغاربية.

لقد أصبحت السياسة محورا فكريا في الرواية المعاصرة، مهما تنوعت مواضعها وتعددت أبعادها الاجتماعية الواقعية، وجنحت إلى الحداثة الشكلية والتنويع الفني، فإن الرواية تعبر عن الأطروحة السياسية إما بطريقة مباشرة وغير مباشرة. لذلك نقول: أن السياسة حاضرة في كل الخطابات والفنون والأجناس الأدبية، وتتمظهر بجلاء ووضوح في فن الرواية التي تعكس نثرية الواقع وتركز على الرهان السياسي من خلال الواقع السائد واستشراف الممكن السياسي.

إن الرواية الجديدة حين بلورة مفاهيمها وتقنياتها لم تبدأ من فراغ بل من الرواية التقليدية ذلك أن الشكل إنما يتغير بناءا على إدراك ووعي بشكل قبله حيث عملت على إعادة هيكلة وبناء شكل جديد للسرد وإسقاط رؤيتها الجديدة للعالم على هذه التقنيات السردية التي صارت تحمل طابعا جديدا يتماشى مع عصر التمرد والقلق، هذه الأخيرة التي آمنت بها الرواية الجديدة.

وبذلك أصبحت الموضوعات الروائية المغاربية في الغالب تعالج القضايا السياسية التي تندرج تحت موضوعات الأنظمة العربية و قيم المجتمع المدني، والدولة الحديثة، وما يستتبعها من انهيار للسلطة والفساد السياسي والسجون السرية، وضحايا التهميش وسوط الجلاد.

ثالثا: الصراع الاجتماعي: (القضايا الاجتماعية)

يمثل الصراع الاجتماعي بين فئات المجتمع المغاربي أهم القضايا التي سجلت في المتن السردي المغاربي، ويركز كتاب هذا النمط الواقعي على إدانة الطبقة البورجوازية، التي تسببت في أزمة الأوضاع الاجتماعية لطبقة الفئات الشعبية الهشة، بدون تقديم تصور يعرض البدائل المناسبة والحلول الكفيلة بتخطي أزمة الصراع الاجتماعي.

ويركز الكتاب أيضا على إشكالية حيازة الأرض من طرف فئات الاقطاعية ووصولية وانتهازية زمن الاستقلال، فعمد كتاب الرواية الواقعية إلى تعريف هذا الوضع الجديد الذي برز في مرحلة الاستقلال، ويظهر ذلك في رواية: ريح الجنوب لعبد الحميد بن هدوقة و الزلزال 1974م و العشق والموت في الزمن الحراشي 1980م للطاهر وطار ، هذا ما يفيد أن قضية الأرض في ظل القوى الاشتراكية تمثل الطليعة لجزائر اشتراكية متحررة من الرأسمالية.

ما يحيلنا إلى استحواذ تيمات الثورة والمرأة وواقع التعليم وغيرها من قضايا المجتمع ومشاكله أولويات الكتاب، ولم يمض وقت حتى أخذت الكتابة تنحو منحى تجديديا فيما يشبه محاولة التخلص من الأشكال النمطية السردية والمعالجة المكرورة لتلك القضايا الاجتماعية مما تطلب نقلة نوعية إلى تجريب أشكال أخرى على غرار ما حدث شرقا وغربا.

رابعا: قضية المرأة

حظيت المرأة في الرواية العربية بحضورا اختلفت مستوياته وتبارى الأدباء في رسم صورتها وأصبحت المرأة محورا من المحاور التي استخدموها كتعبير عن مختلف تصوراتهم وأفكارهم وهي تشكل أداة فكرية، يعبرون من خلالها عن همومهم الذاتية، وواقعهم السياسي والاجتماعي والاقتصادي والقضايا الإنسانية.

ومن هنا أصبحت المرأة رمزا فنيا زاخرا بالعديد من الدلالات وتنوعت صورتها في الرواية العربية ولهذا اهتم بها الشعراء والروائيون في رواياتهم وقد عبروا عنها في صور عدة من أعمالهم لأن حركة المرأة ترتبط بحركة المجتمع من جهة ومن جهة أخرى تمثل دلالة ورمزا ثريا موحيا عن الوطن. إلا أن صورة المرأة كانت هي الغالبة في بعض الروايات العربية، والمرأة النمطية هي ابنة المجتمع الأبوي المتمثلة لموروثه، والصادرة عنه والقانعة بقيمه والمحافظة على مثله حتى ولو عانت منه.

وقد سجلت قضية المرأة حضورا لافتا ضمن الروائي المغاربي وقد عبر الكاتب رشيد بوجدرة عن دور المرأة ومكانتها ضمن شواغل الروائيين المغاربة لقوله وأنا واعي أن الطاقات الموجودة لدى المرأة العربية، سوف تتفجر يوما، وإذا ما تفجرت فسوف يربح المجتمع العربي نفسه المفقود إلى يومنا هذا وسوف تكون الصورة نسائية التي سينتفع بها الرجل قبل غيره.

وقد صورت الرواية المغاربية الوضع المتأزم للمرأة من خلال عدة نماذج تعكس حقيقة وضعها ودورها الاجتماعي في مجتمعات لا تزال تخفض من دور المرأة وقيمتها فنجد نماذج للمرأة الأمية ونماذج للمرأة المتعلمة وإن تفاوتت درجة تعليمها.

فنجدها مثلا في الرواية الجزائرية كرمز داخل الرواية للتعبير عن ايديولوجيا معينة، أو عن التضحية والحب، أو رمز من رموز المقومات الوطنية، فلا توجد رواية خالية من ذكر المرأة، يعبر عنها الكاتب في صورة أحسن من صورتها الواقعية بعد أن كانت محتقرة ومهمشة.

كما أصبحت شخصية بطلة في معظم الروايات التي يكتبها الرجل وكشخصية استولت على القلوب قبل العقول سواء أكانت أما، أم أختا أم حبيبة ... تعيش وصفا بين ذاتها، وبين وضعها، ووضع آخر تتطلع إليه، وبين مجتمعها كما هو، فهي تعي هذا الانتقال وتتقصده وتكافح من أجله.

وانتقلت المرأة من شخصية مهمشة ومحتقرة إلى شخصية تحارب وتكافح من أجل ابراز مكانتها. فكان لها حضور قوي داخل الرواية الجزائرية، حيث كانت نظرة الرجل الكاتب إلى المرأة نظرة محافظة وفق منظور قضية وضع الحجاب، والطلاق، والزواج المبكرة وغيرها من القضايا التي جعلت المرأة تعيش داخل القوالب التقليدية البالية. وهذا ما تطرق إليه الروائي الجزائري عبد الحميد بن هدوقة في رواياته حيث جعلها أساسية، ففي رواية ريح الجنوب يركز على قضية التوازي بين المرأة والأرض مما جعل تحرير الأرض ينهض معادلا لتحرير المرأة، وفي رواية بان الصبح يعرض مختلف أشكال الصراع التي تخوضها من أجل إثبات ذاتها وتأكيد كيانها وقدرتها على الفعل والتحرر من كل القيود التي يفرضها عليها المجتمع.

وينضاف إلى مجمل هذه القضايا قضايا أخرى عبرت عنها رواية التجريب التي تنطلق من مبدأ المسألة وإعادة القراءة عبر أشكال من محاور المجادلة.

خلاصة القول لما سبق لقد استطاعت الرواية المغاربية الوقوف على قدميها في فترة وجيزة مؤكدة وعيها وحضورها ونضجها الفني، بل إنها فتحت آفاقا جديدة وغير مسبوقة في تناولها لموضوعات متميزة، ضمن بيئة ومناخ مختلفين عن مثيليهما في المشرق.

المراجع المعتمدة:

1. أمين عثمان، فصول في الرواية المغاربية، الدار التونسية للكتاب، تونس، ط1، 2012م
2. جميات منى، التشكيل اللغوي في رواية وطن من زجاج لياسمينة صالح، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2016م.
3. رزان محمود إبراهيم، خطاب النهضة والتقدم في الرواية العربية المعاصرة، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، 2003م
4. محي الدين صبحي، أبطال الصيرورة دراسات في الرواية العربية والمعربة، دار الطليعة، بيروت ط1، 1890م